حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

أَجَلْ ان جول سيمون قد ادرك بصائب فكرتهِ وحسن تعليلهِ ما هنالك من الاخطار فقام يصدع بصوتهِ الجهير مبيناً لانصار هذا المذهب عَمَه بصيرتهم وسوء رأيهم منادياً بوجوب الاقلاع عن هذا المطلب المؤدّي الى تشويه جمال المدنية وتحليل قوى الانسانية وانقراض الكون العمراني وقد قال ما مؤداهُ

« ان الرجل جبّارٌ خُلق للجهاد والجدّ والمرأة مَلَكٌ أُبدع للإسعاد والتهذيب والتعزية ومتى خالف البشر هـذا المبدأ الطبيعيّ ضلوا سعياً وساءوا مصيراً . لذلك نرى ان لا تتعلم الفتاة الا وظائفها المخلوقة لها »

وقد اوضح ما ينبغي ان تقتصر الفتيات على تعلمهِ وهو ما يأتي

اللغة الوطنية مع آدابها باتقان . الخياطة وفروعها كالرفء والتطريز وما يأخذ مأخذهما . الموسيقى . التصوير . الحساب . فنُّ الاقتصاد . تدبير المنزل . اصول الدين . علم الاخلاق . قواعد الأُلفة . التاريخ . الجغرافية . حفظ الصحة . درس الطبائع . قانون التربية

هذه هي العلوم التي تناسب وظائف هذا المَلَك المعزّي المهذّب الذي عليهِ مدار تنوير الافكار وتبديد الاكدار واستدرار موارد الهنآء والسعادة والراحة والرغد للازواج والبنين لا الملاحة والجندية والطب والهندسة وعلم الهيئة وجرّ الاثقال والطواف حول الارض والعروج في المناطيد والمناضلة

بالسلاح والتربع في دست القضآء فان كل هذه المعدودات تتبرأ من المرأة تبرؤ النعومة من القنفذ والجمال من القرد فاذا زاولت شيئاً منها تجرّدت من سمات اللطف وهو سلاح الانوثة ومصدر قوتها واصبحت جبّاراً عتيًّا فلا يأتي على الانسان حينٌ من الدهر حتى تراهُ منحطًّا عائداً القهقرى الى حالتهِ الوحشية الاولى مماثلاً الشمپانزي والغورلا[1] التائهين في صحارى افريقيا وغاباتها

قل لي بحقك من ذا يعزّي الرجل ويلطف اخلاقهُ ويهذّب وجدانهُ ويلبي عواطفهُ اذا عادت تلك الريحانة قهرمانةً تناظرهُ وتعاديهِ وتزاحمهُ على اعمالهِ وموارد كسبهِ ومجدهِ بالمناكب وتسلب حقوقهُ كالغاصب واذا لبث عادم المؤاسي فاقد النصير فالى اية حالةٍ من الخشونة وضيق الصدر وصغر النفس يصير

ولُبّ معترض يقول ان تلك التي تكون في اثنآء النهار لَبُؤةً تكافح وتصارع في معارك المهامّ والاعمال قد تصير في الليل ظبيةً لعوباً يستأنس بها البنون وترتاح الى معاشرتها الرجال . والجواب ان التي تعاني الاعمال الخشنة مدافعةَ مكافحة سحابة النهار منتحلةً وظائف الرجال تحوم كالجائع المفترس على اصطياد الدينار حومة الهرّ اذا عاين الفار لا يبقى لها من لطف الظبآء ما يمكن استعادتهُ في المسآء . وهب انها استعادتهُ بعد الكلفة

---

(١) الشمپانزي والغورلا نوعان من القردة يشبهان الانسان في كثير من احوالهِ حتى ان الغورلا يستطيع السير منتصباً وقتاً طويلاً متوكئاً على عصاهُ واذا اطلق صياد بندقيتهُ عليهِ اختطفها منهُ وحاول اطلاقها انتقاماً ودفاعاً

والجهد فالتكلف لا يدوم وان دام لا يغني عن الحقيقة فتيلاً . وبعد فهل تنحصر وظائف الانوثة الموقوف عليها حياة النوع ونمآؤهُ في الغزَل وما يليهِ . ومتى ينظر في سائر الوظائف التي تحتاج الى المثابرة والمزاولة صباح مسآء كالتربية والارضاع وتدبير الغذآء واللباس وسائر ما يتطلبهُ المنزل والعيش والتزاور من متنوعات الشؤون ما دام النهار يُقضى بالعراك والمصادمة ونصب الاشراك لاقتناص المجد والمال رغماً عن أنوف الرجال

— ١١ —

انني قبل ان اطالع ما ورد عن جول سيمون من هذا القبيل ببضع ليالٍ جمعني الاتفاق ببعض المتعصبين لرأي الغلاة في وجوب مجاراة النسآء للرجال فدار بيننا البحث والجدال على هذا الموضوع الخطير فاوسعتهُ تفصيلاً مبيناً المضارّ التي تنشأ عن هذه البدعة المخالفة للوضع الطبيعي والهادمة لاركان العمران البشري ـ وأنا أحسب اني اول من قرع هذه الساحة ـ حتى اذا كنت بعد ايام اطالع في احدى المجلات العربية عثرت على نقل بعض ما جال في خاطر جول سيمون مما مرَّ بك بيانهُ في الفصل السابق فجزمتْ اذ ذاك ان ما دار في خلَدي انا المحجب في زوايا الشرق تحت الخمول هجس في صدر ذلك الفيلسوف الذائع الصيت المتربّع في دست العظمة في اجمل عواصم الغرب وما ذلك بعجيب فقد تتوارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر وهيهات ان يخفى الحق على متفكرَين

بيد اننا وان اتفقنا في الاصول فقد اختلفنا في بعض الفروع ولعل الاختلاف نشأ عن الفرق بين عوائد البلادين واليك البيان

ان جول سيمون قد تساهل مع الحزب المتشيع للنسوة الطامحات الى مماثلة الرجال فلم يرَ بأساً من أن يمارسنَ بعض الصناعات ويزاولنَ حرفةً ما من مثل الصيدلية وبيع الانسجة والحلوى او المُسكر وان يخدمنَ في دوائر البريد والبرق وان يكنَّ طبيباتٍ ومعلمات موسيقى ورقص الى غير ذلك مما كان الى عهدٍ غير بعيد منحصراً في الرجال فاصبح اليوم مشاعاً بين الفريقين زاعماً ان تلك المهن لا تعبث بلطف الاناث ولا تحطّ من شأنهنَّ بل لعلها تقي المعوزات منهنَّ في حالة الترمُّل اوالعنوس ذل الحاجة وبلآء الفقر

على انني لا ارى معهُ هذا الرأي وعندي ان السماح لهنَّ باية حرفةٍ كانت مما يلجئهنَّ الى مزايلة منازلهنَّ يومياً والتجول في الاسواق والشوارع والجلوس في الحوانيت للاخذ والعطآء مع الرجال على تفاوت طبقاتهم في المنزلة والتهذيب والآداب وفيهِ ضياعٌ لشرف الانوثة وعزتها واستدراجٌ لما ورآءهُ من اسباب الابتذال والضعة وخرابٌ لنظام الحياة المنزلية في كل عصرٍ وقطرٍ وأُمة

أجَلَّ تستطيع الفتاة حذراً من ان يعضّها الفقرُ بنابهِ ويجور الدهرُ عليها بصروفهِ ان تتقن بعض الصناعات اليدوية أو الفنون الموسيقية أو الكتابة حق الاتقان بحيث انها عند مسيس الحاجة ـ التي لا تكون الا عند انقطاع الوليّ والقريب وفقدان النصير وتعذر الزواج وعدم امكان الدخول الى ملاجئ الخير ـ تتكسب مرتزقةً بما أتقنت فان الخياطة وما يتفرع عنها من التوابع صناعة رائجة لن تبور وكذلك تعليم الموسيقى أو

التصوير أو بعض اللغات لبناتِ (لا لرجال) يزرنَها في بيتها أو تزورهنّ في بيوت آبائهنّ في ساعاتٍ معيّنة للتدريس يكفي المعوزة مؤونتها بل يزيد ولا جناح عليها منهُ ولا تثريب فهي في الحالين غنية عن تعاطي الحرف التي أباحها جول سيمون مما لا يتهيأ للفتاة او الارملة مزاولته حتى تكون خرّاجة ولاّجة مخالطة للعوامّ الطغام ومتزلفة اليهم وفي ذلك ما فيهِ مما يمجّهُ الطبع وينبذهُ الذوق السليم فضلاً عما ينتج من المحذورات التي تخشى مغبتها

ثم يمكن الفتاة ايضاً ان تراسل الصحف السيّارة ومجلاّت العلم والأدب والازيآء (المودات) وتصوّر المناظر الطبيعية والمدن والمحافل والنسآء النبيلات المشهورات ـ دون الرجال والغاويات المتبذلات ـ وتنقش المعدنيات وتصوغ الحلى وتحوك الطنافس وتكوي الالبسة وتلفّ التبغ وفي كل هذا من موارد الكسب ما فيهِ كفاف فتاةٍ بل اسرةٍ وهو سهل المنال كثير الرواج يمكن الفتاة مزاولتهُ وهي قعيدة بيتها لا تخالط الا افراداً من الرجال

هذه هي عندي الصنائع التي يُباح للمرأة ان تتعيش بها في أزمنة الاحتياج دون ان تتعدى حدود الانوثة وواجبات الصيانة مُحافِظةً على طلاوة الخَفَر ومهابة الترفع وجلال التهذيب لا ما عدّدهُ جول سيمون مما يسوقها الى التبذّل قسراً ويفضي بها الى التهتك طبعاً

ان الكنت تولستوي فيلسوف الروسيين في هذا القرن لما رأى انهماك النسآء في زماننا الحاضر بمحاكاة الرجال تفحّلاً وتحدياً شعر بما

سيحدق بالبنآء البشري ويلمُّ بعمرانهِ من هذه الجهة فقال ـ ويا نِعْمَ القول ـ ان الرجوع الى الحالة السابقة الفطرية واقتسام الاعمال في الحاجيات مشاركةً خيرٌ لنا من المدنية الحاضرة اذا افضت بالمرأة الى فقدان بهجة انوثتها مع انها ذريعة البقآء وجرثومة سعادة النوع الانساني . وهو قولٌ من الحكمة وبُعد النظر بمكان (ستأتي البقية)

الجوكيّة

هم طائفةٌ بالهند يوصفون بالسحر ولهم اعمالٌ غريبة لا يمكن ان تُحمَل على شيء من ضروب الايهام والتشبيه التي يصنعها المُشعوِذون ولكنها من قبيل السحر البابليّ المشهور . وهذه الاعمال قديمة في الهند شهدها ابن بطوطة في رحلتهِ الى تلك البلاد في اثنآء القرن الثامن للهجرة اي من نحو ست مئة سنة ووصف بعضاً منها وصفاً مطابقاً لما يذكرهُ السيّاح في هذا العهد . فانهُ بعد ان ذكر هذه الطائفة قال ان احدهم يقيم الاشهرُ لا ياكل ولا يشرب وكثيرٌ منهم تُحفَر لهُ حُفَرٌ تحت الارض فلا يُترَك لهم الاّ موضعٌ يدخل منهُ الهوآء ويقيم احدهم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة . ورأيت بمدينة منجرور رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم وقد رُفعت لهُ طبلة (؟) وأقام باعلاها لا ياكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوماً وتركتهُ كذلك فلا أدري كم أقام بعدي . والناس يذكرون انهم يركّبون حبوباً ياكلون الحبّة منها لايام معلومة أو اشهر فلا يحتاجون في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامورٍ مغيَّبة والسلطان